@ 794 @ السكينة عليهم) ^ شكرا لهم على ما في قلوبهم ، وزادهم هدى . وعلم ما في قلوبهم من الجزع ، من تلك الشروط التي شرطها المشركون على رسوله ، فأنزل عليهم السكينة ، تثبتهم ، وتطمئن بها قلوبهم ^ (وأثابهم فتحا قريبا) ^ ، وهو فتح خيبر ، لم يحضره سوى أهل الحديبية . فاختصوا بخيبر وغنائمها ، جزاءا لهم ، وشكرا على ما فعلوه من طاعة ا تعالى ، والقيام بمرضاته . ^ (ومغانم كثيرة يأخذونها ، وكان ا عزيزا حكيما) ^ ، أي : له العزة والقدرة ، التي قهر بها الأشياء ، فلو شاء لانتصر من الكفار في كل وقعة تكون بينهم وبين المؤمنين . ولكنه حكيم ، يبتلي بعضهم ببعض ، ويمتحن المؤمن بالكافر . ^ (وعدكم ا مغانم كثيرة تأخذونها) ^ وهذا يشمل كل غنيمة غنمها المسلمون إلى يوم القيامة . ^ (فعجل لكم هذه) ^ ، أي : غنيمة خيبر ، أي : فلا تحسبوها وحدها ، بل ثم شيء كثير من الغنائم سيتبعها . ^ (و) ^ احمدوا ا ، إذ ^ (كف أيدي الناس) ^ القادرين على قتالكم ، الحريصين عليه ^ (عنكم) ^ فهي نعمة ، وتخفيف عنكم . ^ (ولتكون) ^ هذه الغنيمة ^ (آية للمؤمنين) ^ يستدلون بها على خبر ا الصادق ، ووعده الحق ، وثوابه للمؤمنين ، وأن الذي قدرها ، سيقدر غيرها . ^ (ويهديكم) ^ بما يقيض لكم من الأسباب ^ (صراطا مستقيما) ^ من العلم والإيمان والعمل . ^ (وأخرى) ^ ، أي : وعدكم أيضا غنيمة أخرى ^ (لم تقدروا عليها) ^ وقت هذا الخطاب . ^ (قد أحاط ا بها) ^ ، أي : هو قادر عليها ، وهي تحت تدبيره وملكه ، وقد وعدكموها ، فلا بد من وقوع ما وعد به ، لكمال اقتدار ا تعالى ، ولهذا قال : ^ (وكان ا على كل شيء قديرا) ^ . ^ (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا * سنة ا التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة ا تبديلا) ^ هذه بشارة من ا لعباده المؤمنين ، بنصرهم على أعدائهم الكافرين ، وأنهم لو قابلوهم وقاتلوهم ^ (لولوا الأدبار ، ثم لا يجدون وليا) ^ يتولى أمرهم . ^ (ولا نصيرا) ^ ينصرهم ، ويعينهم على قتالكم ، بل هم مخذولون مغلوبون . وهذه سنة ا في الأمم السابقة ، أن جند ا هم الغالبون : ^ (ولن تجد لسنة ا تبديلا) ^ . ^ (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان ا بما تعملون بصيرا * هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونسآء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل ا في رحمته من يشآء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) ^ يقول تعالى ممتنا على عباده بالعافية ، من شر الكفار ومن قتالهم ، فقال : ^ (وهو الذي كف أيديهم

) ^ ، أي : أهل مكة ^ (عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) ^ ، أي : من بعد ما قدرتم عليهم ، وصاروا تحت ولايتكم بلا عقد ولا عهد ، وهم نحو ثمانين رجلا ، انحدروا على المسلمين ليصيبوا منهم غرة . فوجدوا المسلمين منتبهين فأمسكوهم ، فتركوهم ، ولم يقتلوهم ، رحمة من ا بالمؤمنين إذ لم يقتلوهم . ^ (وكان ا بما تعملون بصيرا) ^ فيجازي كل عامل بعمله ، ويدبركم ، أيها المؤمنون ، بتدبيره الحسن . ثم ذكر تعالى ، الأمور المهيجة على قتال المشركين ، وهي : كفرهم با ورسوله ، وصدهم رسوله ا ومن معه من المؤمنين ، أن يأتوا للبيت الحرام زائرين معظمين له بالحج والعمرة . وهم الذين أيضا صدوا ^ (الهدي معكوفا) ^ ، أي : محبوسا ^ (أن يبلغ محله) ^ ، وهو محل ذبحه في مكة ، حيث تذبح هدايا العمرة ، فمنعوه من الوصول إليه ظلما وعدوانا ، وكل هذه أمور موجبة ، وداعية إلى قتالهم . ولكن ثم مانع وهو : وجود رجال ونساء من أهل الإيمان ، بين أظهر المشركين ، وليسوا بمتميزين بمحلة ، أو مكان يمكن أن لا ينالهم أذى . فلولا هؤلاء الرجال المؤمنون ، والنساء المؤمنات ، الذين لا يعلمهم المسلمون أن تطأوهم ، أي : خشية أن تطأوهم ^ (فتصيبكم منهم معرة بغير علم) ^ ، والمعرة : ما يدخل تحت قتالهم ، من نيلهم بالأذى والمكروه . وفائدة أخروية ، وهو : أنه ^ (ليدخل ا في رحمته من يشاء) ^ فيمن عليهم بالإيمان بعد الكفر ، وبالهدى بعد الضلال ، فيمنعكم من قتالهم لهذا السبب . ^ (لو تزيلوا) ^ ، أي : لو زالوا من بين أظهرهم ^ (لعذبنا الذي كفروا منهم عذابا أليما) ^ بأن نبيح لكم قتالهم ، ونأذن فيه ، وننصركم عليهم . ^ (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل ا سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان ا بكل شيء عليما) ^ يقول تعالى : ^ (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) ^ حيث أنفوا من كتابة (بسم ا الرحمن الرحيم) وأنفوا من دخول رسول ا صلى ا عليه وسلم والمؤمنين إليهم في تلك السنة ، لئلا يقول الناس : (دخلوا مكة قاهرين لقريش) . وهذه الأمور ونحوها ، من أمور الجاهلية ، لم تزل في قلوبهم حتى أوجبت لهم ما أوجبت ،